

أَنَا أُعْطِيَ الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا

(Arabic – To him who is thirsty I will give him to drink without cost)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: أَنَا أُعْطِيَ الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا

ومن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح الحادي والعشرين نقرأ الأعداد من الخامس إلى السابع:

"وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديدًا. وقال لي: اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي: قد تم. أنا هو الألف والياءُ البداية والنهاية. أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانًا. من يغلب يرث كل شيء. وأكون له إلهًا. وهو يكون لي ابنًا".^١

كثيرون لا يُصدّقون الأخبارَ السارةَ عن نعمةِ الله المجانيةِ المُعلنةِ بالكتاب المقدس. عن ماء الحياة المُقدّم لكل عطشان مجانًا. فلقد اعتاد الناسُ الشكَّ وإساءةَ الظنِّ بالعروضِ والهباتِ المجانيةِ من غيرهم من البشر. لأنّ الاعتقادَ السائدَ أنّه ليسَ عطاءٌ بغير أخذ. والأشياءُ التي تمنحُ دونَ مقابلٍ من الناسِ هي من قبيل التخاذلِ والخداعِ والنفاق. بتلك القاعدةِ يتعاملُ الناسُ بعضهم مع بعضهم الآخر. وهم يطبقون تلك القاعدةِ في علاقتهم مع الله دونَ مراعاةٍ للفارق الذي بلا قياس. ومُعظم الأديانِ وهي تحثُ من يعتنقونها على مُمارسةِ الفرائضِ من صلاةٍ وصومٍ وصدقة. يُعطون انطباعًا أنّه بقدر ما يُمارسون تلك الفرائض. يُواتيهم رضا الله عليهم. وبالتالي يستمتعون بهباته وخيراتِهِ. وبقدر ما يُهمِلون مُمارسةَ الفرائضِ يتوقعون الشرَّ والعقابَ والإدانة. ظنًا منهم أنّهم يجلبون غضبَ الله عليهم. لاعتقادهم أنّه ليسَ هناك عندَ الله مِنحٌ مجانيةٌ لذلك يُحثونهم على بذلِ الجهدِ لإرضائه بأعمالهم ليُرْضِيهم بإحساناته. لأنّ من يعملُ مثقالَ ذرةٍ خيرًا يره. ومن يعملُ مثقالَ ذرةٍ شرًّا يره. ونسوا محبةَ الله.^٢

إنّ ذلك الاعتقادُ يُعطى انطباعًا غيرَ صحيحٍ عن الله. فانه لا يتعاملُ مع البشرِ بمعيّارِ الأخذِ والعطاء. إنّه مفهومٌ عقائديٌّ بشريٌّ يتنافى مع طبيعةِ الله المُحبِّ. لقد وعدَ الله كلَّ عطشانٍ بماءِ الحياةِ مجانًا. ليسَ لاستحقاقٍ بشريٍّ بل هو عملٌ نعمتهِ الغنيّة. ولكن كيف يكون ماءُ الحياةِ الأبديةِ لكلِّ مُتعطشٍ إليها مجانًا؟. أوليسَ عدلُ الله يقتضي ثوابًا للمُحْسِنِ وقصاصًا للمُذنبِ؟. من يتحمّلُ ذنبَ المُذنبِ كي ينالَ الأخيرُ ما ليسَ من حقه؟. ونعني بذلك نوالَ الحياةِ الأبديةِ. فمن أيّ بابٍ يدخلُ المُذنبُ ليمثّلَ أمامَ الله كلىّ القُداسةِ؟. هل بالكتاب المقدسِ ما يُثبتُ أو ما يُجيزُ للخاطي أن يمثّلَ أمامَ العدلِ الإلهي كي يتبرّرَ أمامَ الله؟. هل من سبيلٍ ليحظى الخاطي بالحياةِ الأبديةِ ويتمتعُ بالتعيم الأبدى؟. نعم. إنّ الكتاب المقدسَ يفتحُ البابَ على مصراعَيْهِ لكلِّ عطشانٍ لا يجدُ ريًا من مياهِ العالم. ليُدخَلَ ويشربَ من ينبوعِ ماءِ الحياةِ مجانًا.^٣ ونوجزُ هذه الحقائقَ المُختصةَ بذلك الموضوعِ في ثلاث:

أولاً: لا مجالٌ للشكِّ في صدقِ تلكِ الدعوةِ.. إنّ تلكِ الدعوةِ المُوجّهةِ لكلِّ عطشانٍ يتحرّقُ شوقًا وطمأً ليشربَ من ينبوعِ ماءِ الحياةِ الأبديةِ مجانًا صادقة. لأنّ تلكِ الدعوةِ صادرةٌ من الله نفسه. ولقد جاءَ بسفرِ العددِ الأصحاحِ الثالثِ والعشرينِ بالعددِ التاسعِ عشرَ هذا النصُّ: "ليسَ اللهُ إنسانًا فيكذب. ولا ابنُ إنسانٍ فيُخدع. هل يقولُ ولا يفعلُ أو يتكلّمُ ولا يفي". وحسبَ ما قرأنا بسفرِ رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاحِ الحادي والعشرينِ فقد كتبَ يوحنا الرائي يقولُ: "وقال الجالسُ على العرش: ها أنا أصنعُ كلَّ شيءٍ جديدًا". وقال لي: "اكتبَ فإن هذه الأقوالُ صادقةٌ وأمينة". ثمّ يؤكّدُ الربُّ أقوالَهُ تعالى اسمُهُ وتبارك. بقوله: "أنا هو الألفُ والياءُ. البدايةُ والنهايةُ. أنا أعطى العطشانَ من ينبوعِ ماءِ الحياةِ مجانًا. من يغلبُ يرثُ كلَّ شيءٍ. وأكونُ له إلهًا وهو يكونُ لي ابنًا".^٤

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ٥ - ٧

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٦: ٢٣

^٣ سفر أيوب ٩: ٢

^٤ سفر العدد ٢٣: ١٩

لَقَدْ سَجَلْ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِلْسَامِرِيَّةِ: " كَلَّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ. بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ". فَقَالَتْ: يَا سَيِّدُ أُعْطِنِي هَذَا الْمَاءَ لِكَيْ لَا أُعْطَشَ وَلَا آتِي إِلَى هُنَا لِأَسْتَقِي. فَقَالَ: اذْهَبِي وَاذْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالَى إِلَى هَهُنَا. فَقَالَتْ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ. فَقَالَ لَهَا: حَسَنًا قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ. لِأَنَّهُ كَانَ لَكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ وَالَّذِي لَكَ الْآنَ لَيْسَ زَوْجَكَ. هَذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ. فَقَالَتْ: يَا سَيِّدُ أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ. أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ. فَقَالَ لَهَا: صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا.^١

قَالَتْ السَّامِرِيَّةُ لِيَسُوعَ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيحًا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَلِكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ أَنَا الَّذِي أَكَلِمُكَ هُوَ. فَذَهَبَتْ إِلَى مَدِينَتِهَا وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: هَلُمُّوا انظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ أَعْلَلْتُ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ وَأَمَنَ كَثِيرُونَ وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا لَسْنَا بَعْدَ بِسَبَبِ كَلَامِكَ نُؤْمِنُ لِأَنَّنا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخْلِصُ الْعَالَمِ. وَلَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ: "مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا". إِنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ لِلْعَطَاشِ صَادِرَةٌ مِنَ الرَّبِّ نَفْسِهِ لِكُلِّ عَطْشَانٍ لِتَوَالِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.^٢

ثَانِيًا: هُنَاكَ حَيَاةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ.. لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ أَنَّهُ مَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ وَالْقُدِّيسِينَ مَعَهُ. فَحِينئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رَثُوا الْمَمْلُوكَاتِ الْمُعَدَّةَ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينَ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ. لَيْسَ الْقَبْرُ نِهَآيَةَ الْإِنْسَانِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. فَالْإِنْسَانُ سَيُوجَّاهُ مَصِيرًا آخَرَ بَعْدَ مَوْتِهِ. سَيَذْهَبُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَسَيَرْتُونَ مَمْلُوكَاتًا أَبَدِيًّا مُعَدَّةً لَهُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. أَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعِ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ فَيَسْطَرِحُونَ فِي مَكَانِ الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي أَعَدَّ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ. إِنَّهَا أَقْوَالُ اللَّهِ الصَّادِقَةِ وَالْأَمِينَةِ.^٣

ثَالِثًا: لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُبْرِئَ نَفْسَهُ.. لَيْسَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَعْملَ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَجْلِهِ الْمَكُوتَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ. لَقَدْ اقْتَرَفَ أَدَمُ الْمَعْصِيَةَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِذَلِكَ طُرِدَ مِنْهَا. لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ مَعْصِيَتَهُ. لَمْ يُعْطِهِ الْفُرْصَةَ الثَّانِيَةَ لِصِلْحِ خَطَايَاهُ. لَمْ يُشْفِقْ اللَّهُ الرَّحِيمُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ خَالَفَ الْوَصِيَّةَ الْوَاحِدَةَ. فَهَلْ يَا تَرَى غَيْرَ اللَّهِ رَأْيَهُ بِمُرُورِ السَّنِينَ؟ وَأَعْطَانَا حَقَّ الْغُفْرَانِ دُونَ عِقَابٍ لِمَا نَقْتَرِفُ مِنَ الْمَعَاصِي؟ مَنْ مِمَّنْ لَمْ يُخْطِئْ؟ لَقَدْ أَخْطَأْنَا جَمِيعًا وَخَالَفْنَا أَكْثَرَ مِنْ وَصِيَّةٍ. لَمْ يُغَيِّرْ اللَّهُ رَأْيَهُ فَهُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَالْإِبْدِ. إِنَّ اللَّهَ قُدُوسٌ وَقُدَاسَتُهُ لَا تَقْبَلُ الْخَطِيئَةَ. وَهُوَ عَادِلٌ وَبَعْدَلِهِ يُجَازَى مَنْ يُخْطِئُ. وَهُوَ رَحِيمٌ وَرَحْمَتُهُ لَا تَنْتَافِي مَعَ قُدَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ.^٤

لَقَدْ تَنَازَلَ ابْنُ اللَّهِ وَجَاءَ إِلَى الْعَالَمِ مُتَجَسِّدًا وَتَحَمَّلَ قِصَاصَ خَطَايَانَا لِنَقْدِي الْبَشَرِيَّةَ مِنَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ. إِنَّ الدَّمَ الْمَسْفُوكَ عَلَى الصَّلِيبِ هُوَ لِخَلَاصِ الْخَطَاةِ مِنْ خَطَايَاهُمْ وَتَحْرِيرِهِمْ لِيَنَالُوا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. إِنَّ ابْنَ اللَّهِ غَيْرُ مَحْدُودٍ. وَدَمُهُ كَفِيلٌ لِلْفِدَاءِ بِغَيْرِ حُدُودٍ. قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي أَسُوسَ: "لَأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخْلِصُونَ بِالْإِيمَانِ. وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرُ أَحَدٌ". إِنَّ مَنْ يَأْتِي إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ مُؤْمِنًا بِفَاعِلِيَّةِ دَمِهِ الطَّاهِرِ. مُعْتَرِفًا بِخَطَايَاهُ مُتَعَطِّشًا إِلَى مَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. سَيَجِدُ غُفْرَانًا وَتَبْرِيرًا وَضَمَانًا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.^٥

أَدْعُوكَ أَحْيَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ دَعْوَتِكَ لِي أَنَا الْعَطْشَانُ لِأُرْتَوِيَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ مَجَانًا. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ خَلَاصِكَ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ فِي شَخْصِ رَبَّنَا يَسُوعَ. آتَى إِلَيْكَ رَبِّي مُعْتَرِفًا بِإِثْمِي فَاقْبَلْ تَوْبَتِي وَاعْفِرْ لِي ذَنْبِي. أَعْلِنُ أَنَّكَ لَسْتُ مُسْتَحَقًّا فِي ذَاتِي. وَلَكِنْ فِي اسْتِحْقَاقِ دَمِ الْفَادِيِ اقْبَلْنِي إِلَهِي. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ. وَاتَّقَا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ سَيِّدِي يَا مَنْ قُلْتِ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزُ.. إِنَّ أَرَدْتِ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٤: ١٣ - ٢٦ & ٣٩ - ٤١

^٢ إنجيل يوحنا ٦: ٣٤

^٣ إنجيل متى ٢٥: ٣٥ & ٤١

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٨

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ٩